مُناقشات

حول رمز الاب في الادب الشعبي الاردني

بقلم : علي محافظة

وفق الاستاذ غالب هلسا في مقاله « رمز الاب في الادب الشعبي الاردني » الى حد كبير في اماطة اللثام عن جانب من الادب الشعبي الاردني . وله الفضل في ذلك طالما ان هذا الادب لم تتناوله الاقلام ولم تعن به الالباب . والواقع ان الفولكلور الاردني زاخر بالحقائق السيكولوجية مليء بالظواهر الاجتماعية والاحداث التاريخية .

ولما كان الادب الشعبي صورة فنية حية للواقع الاجتماعي والواقع الاجتماعي نفسه يخضع لسنة التطور والتبدل فان الادب الشعبي يتطور تحت تأثير عوامل عديدة : سياسية واقتصادية ونفسية وقد مر الاردن بتطورات سياسية واقتصادية ونفسية واجتماعية منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر حتى اليوم شأنه في ذلك شأن اي قطر من اقطار العروبة . وتبع الاردن لفترة طويلة ولاية الشام في العهد العثماني وخلال هذه الفترة كان يسود المجتمع الاردني اعراف وتقاليد وعادات اجتماعية معينة . وكان ذلك المجتمع يتألف من الفلاحين والبدو . حتى الفلاح كان يقوم بتربية الماشية الى جانب الزراعة وبقي دوما على اتصال وثيق مع البادية . والظاهرة الهامة التي تبرز للعيان في هذا المجتمع هي الخوف المسيطر عليه ، فلم يكن بامكان الحكومة ان تفرض هيبتها وسلطانها على السكان . بل كان البدو يهددون حياة الفلاح في كل لحظة ولذا كان على الفلاح ان يبقى دوما شاكا سلاحه في غدوه ورواحه . وكثيرا ما فرض البدو « الخاوه » على الفلاحين وهي ضريبة عينية يدفعها الفلاحون للبدوي الذي يقوم بحمايتهم من غارات البدو الآخرين . ومن يحاول التمرد من الفلاحين يلق جزاء قاسيا فيفقد ثروته ويتعرض هو وافراد اسرته للقتل والتشريد .

ان مجتمعا كهذا تعمه الفوضى ويخيم عليه الخوف لا يمكن للفرد ان يشعر بالامن والطمأنينة ، ولا بد ان يحس في الوقت نفسه بأمس الحاجة الى من يعضده ويدعمه في مواقفه . والنتيجة الطبيعية ان يتضامن جميع افراد الاسرة الواحدة بل العشيرة الواحدة حتى انهم ليتشاورون في كل قضية مهما كانت تافهة او خاصة بحياة الفرد العاطفية .

ولكن ما مقام المرأة في هذا المجتمع ؟ ان المقام الذي تحتله المرأة في مجتمع كهذا مقام هزيل لانها لا تتمتع بقوة الرجل وبأسه طالما ان القوة هي المسيطرة في الحياة الاجتماعية . ولم تكن المرأة في نظر الرجل اكثر من معمل لانتاج الاطفال ورفيقة ممتعة وعاملة ماهرة في المنزل والحقل . واذا ما تزوج الرجل امرأة طيبة واحبها ثم توقفت عن انجاب الاطفال اضطر الى الزواج من غيرها . ان الحاجة الى وجود ابناء يعتمد عليهم في حياته كانت تدفعه الى الزواج من امرأة اخرى بالاضافة الى زوجته الاولى ويحرضه الاهل على ذلك فاذا أعرض أصبح مثار ازدراء وامتهان من قبلهم . ومن هنا جاءت احدى نصائح الفلاحين : « زوج الولد يأتي بولد . » فهذه دعوة صريحة الى ضرورة الزواج المبكر لجمع اكبر عدد ممكن من الابناء . ومن الطبيعي ان يكون الاب هو سيد الاسرة المسير لشؤونها والمدبر لامورها والمتصرف والمتحكم بأفرادها .

ظل المجتمع الاردني هكذا حتى تحرر من التحكم التركي وكان تحرره هذا تحررا من الخوف الذي سيطر عليه مدة طويلة من الزمن . ومنذ عام ١٩٣٦ تم مسح الاراضي و « تطويبها » واستطاع الفلاح ان يتقدم خطوات واسعة الى الامام اذ شعر باستقرار واصبح في مأمن من الخوف . وتبعت الاحداث الجديدة تطورات اجتماعية قيمة فأضحت زوجة الفلاح تحتل مقاما أرفع بكثير من مقامها السابق ولم تعد تقول لابنها « ماذا بيدي ؟ أطلب من ابيك ؟ » فلديها الان ما تقدمه لابنها وتتمتع بحرية واسعة نسبيا . ومع ذلك فما زالت مهمة الام الاولى العناية باطفالها في مرحلة الطفولة . وبينما ينصرف الاب الى اعماله بصفته المعيل الاول للاسرة تقوم المرأة بمساعدة زوجها في الاعمال الزراعية بالاضافة الى مهامها المنزلية .

صحيح ان الاب يتمتع بسلطة كبرى تجاه ابنائه ، وصحيح ان الام هي الملجأ الذي يأوي اليه الابن اذا ما تعرض لغضب والده . وفي الحالات التي تتعاون فيها الام مع الاب ضد الابن يجد الاخير نفسه مكرها على ترك المنزل نهائيا وهذا ما يحدث غالبا في بداية عهد المراهقة . يحدث هذا عندما لا تعترف الاسرة للمراهق بما طرأ عليه من نضج ولا تأبه له ولا تقر رجولته وحقوقه كفرد له ذاتيته ولذلك يفسر المراهق كل مساعدة من قبل والديه علىانها تدخل في اموره . ويتخذ الاعتراض على سلوك الوالدين اشكالا عدة ابسطها العناد والسلبية وعدم الاستقرار وأعقدها الهرب والالتجاء الى بيئات اخرى قد يجد فيها متنفسا للتعبير عن حريته المكبوتة . وهذا له ما يؤيده في الامثال الشائعة بين الفلاحين ومنها : « هنيّال من مات ابوه وصار شوير حاله» . ومعناها هنيئا لمن توفي والده واصبح حرا في مسلكه.

نعود بعد هذه المقدمة الى الحكايتين اللتين اوردهما الاستاذ هلسا في مقاله واستخلص منهما ان الادب الشعبي الاردني يبرز صورة شريرة للاب يحاول استبدالها بالاب الاجتماعي . ولعل هذا صحيح تماما بالنسبة للادب الشعبي ابان الحكم العثماني . والحكايتان مستمدتان من ذلك العهد وان بقيتا مع غيرهما تترددان على شفاه المتقدمين في السن الذين عاشوا تلك الفترة ولا يزالون بيننا . وكان التعليل الذي جاء به كاتب المقال لسيادة الاب في الاسرة الريفية الاردنية صحيحا الى حد كبير ولكنه اورد في مقاله احكاما اعتبرها حقائق ثابتة منها قوله : « والثدي في الفولكلور الاردني لا يحمل من دلالة سوى دلالة الامومة . ان الدلالة الجنسية للنهد التي يضيفها الادب الكلاسيكي غير موجودة في الادب الشعبي بل ان عكس هذه الدلالة هو الشائع » . ان هذا الحكم الذي اصدره الكاتب يحتاج الى دليل اوضح وحجة اقوى . ولا اعدو عن الحقيقة اذا قلت ان الدلالة الجنسية للنهد التي يضيفها الادب الكلاسيكي موجودة في الفولكلور الاردني . فها هو الفلاح الاردني يجعل النهد موضوع غزله اذ يقول :

خطونا لك من قدام	كمرتينا عن السلام
يا ام نهيد له وشام	يا نشمية البنات

انه يطري في هذه الاغنية النهد ذا الوشم ويراه جزءا مثيرا من اجزاء جسد المرأة . واسمع الى الفتاة التي تعتز بانوثتها وتعتبر النهد عنوان هذه الانوثة :

جمّال قود جمالك	لا تطلع ع نهودي
سبحان الرب الخالق	رمانتين بعود

وتبدو الدلالة الجنسية بصورة بينة اذ يغني الريفي الاردني مرددا مع انغام « الشبابة » :

يا ام التنورة الحمرا	ع البراد اخلعيها
لولا المخافة من الله	لاقبض نهيدك فيها

واكتفي بهذا القدر من الاغاني الريفية الاردنية التي تبرز الدلالة الجنسية للنهد لاعود الى حكاية الغول في الفولكلور الاردني .

والواقع ان حكاية الغول قديمة جدا في الفولكلور العربي بشكل عام ، انها تمثل مرحلة من مراحل تطور الفكر الانساني عندما نشوف هذا الفكر الى اكتناه الحوادث والاشياء التي رآها في الطبيعة فنسب اليها ارواحا وهذا هو مذهب الفيتشي Fetchisme وقد حاول الفلاح ان ينسب القوى التي تتحكم في حياته الى كائنات حية من طبيعة تختلف عن الطبيعة الانسانية ولكنها تملك العواطف والرغبات البشرية نفسها . والغول هو الكائن الحي الذي تصوره الفنان الريفي فهو الذي يعطي الابن اسرار زوجة ابيه التي يلاقي منها عنتا كبيرا ، وهو الذي يمنح الفقير سبل الثراء . ان الحاجات التي يفتقر اليها الفلاح الاردني يجدها لدى الغول . والفنان الشعبي يحاول ان يبحث عن خلاص الانسان من الامه ومتاعبه ويفتش عن تحرره من مرارة الشقاء ورتابة العمل ليس في السيطرة على المظاهر الطبيعية التي تحيط بالفلاح بل يبحث عنها لدى كائن حي مخيف له القدرة على حل كل المشاكل وتلبية جميع الرغبات . ورأيي ان الغول في الفولكلور الاردني لا يمثل الاب القاسي المتحكم بقدر ما يمثل اعتراف الفلاح الصريح بتغلب الظروف عليه وعجزه عن مجابهتها والتحكم بها .

عمان — الاردن　　**علي محافظة**

الى أخي وحيد النقاش

بقلم : عطاء النقاش

من المحقق ان اخي وحيد كان جادا عندما تناول قصتي في العدد الماضي بالنقد غير ان هناك بضعة اعتراضات جوهرية اثارها ، جعلتني اتأكد من ان رأيه الذي انتهى اليه فيما يختص بقصتي « اغنية المد الحزينة » لم يكن اكثر من الانطباعات الاولى لفنان وليست لناقد . ولست ادعي هنا انني ناقد او اي شيء من هذا القبيل . ولكنني سأحاول ان اوضح بعض الامور وأرد على بعض اعتراضات اخي وحيد وان كنت اتفق معه في كثير مما جاء بحديثه .

والامر الاول الذي اريد ان اوضحه هو ان وحيد عندما نظر الى القصة رآها تتحدث عما تفعله عادة عقيم وهي هنا — الاخذ بالثأر — في عاطفة عظيمة مثل الحب .

وبالفعل قد تكون القصة شيئا من هذا لدى الرؤية الفنية الاولى غير ان هناك درجات اعمق من درجات الرؤية الفنية ومسؤولية الناقد تتحدد في الوصول الى هذه الدرجات الاكثر عمقا في العمل الفني .

صدر الكتاب المنتظر

حروب العصيان والثورة

من فجر التاريخ الى اليوم

دار المكشوف ، بيروت

فبالنسبة لهذه القضية بالذات :هي قبل ان تكون قصة شاب يحاول التنصل من ثأر له ، رغبة في الحياة مع من يحبها .. هي بالدرجة الاولى قصة انسان حر الارادة تيقظت في نفسه فجأة رغبة حادة في ممارسة هذه الحرية وكان الدافع الذي أيقظ هذه الرغبة هو الحب الذي يجب أن يؤخذ هنا على اعتبار انه رمز للحياة بأسرها . والذي يؤكد من رمز فكرة الحب الى الحياة هو « تلك الطفلة التي عليك ان تأتيني بها .. » واذن فان الامر لا يقتصر على تشويه عاطفة الحب وحسب كما رأى وحيد من خلال قراءته للقصة ولكنه يشوه بالفعل كل معنى للحياة .

على هذا فالقصة تدافع عن قضية الارادة الحرة التي تود ممارسة حريتها فتصطدم بالواقع القاسي الذي يشوه كل شيء ويقضي على هذه الارادة بالموت .. ولكن : هل مات رفض بطلنا الاشياء « .. التي تفرض نفسها علي فرضا .. انني لا ارفض وجود هذه الاشياء مجتمعة ولا ارفض وجودها متفرقة .. ولكن .. آه .. لو كانت اقل جبرية مما هي عليه الان .. » ان رفضه هذا قائم بالفعل مازال . بل وان احساسه بكيانه الذي عبر عنه .. انما اولا وقبل كل شيء « انا » بصرف النظر عما يحدث حولي وعما يـريده لي هذا العالم » .. هذا الاحساس الحاد بذاته وبكيانه وبوحدته مع نفسه لم يمت بمجرد انطلاق بضع رصاصات .. انه منبق في نصفه الاخر الذي لم تتحدث عنه القصة الشيء الكثير .. هذه الاحساسات نفسها باقية في أخي وحيد وفي .. وفي جميع الاصدقاء الذين نلتقي بهم في العمل والمقهى وفي الطريق احيانا ..

هذا فيما يختص بالمعنى العام للقصة .

اما الامر الثاني الذي اريد ان اوضحه هو قول وحيد بان الانسان في مثل هذه الحالة من الاعياء والمرض ليس بمقدوره ان يكتب مثل هذه الرسالة الرائعة المنظمة ولكنني ساقتطع هذه الفقرة من بداية رسالة بطلنا :

« لقد قصصت عليك ذات يوم حكاية سائق العربة الذي تمزق لحم بطنه يوما في حادثة ، وانفجرت امعاؤه امامه فحملها في يديه وجرى في شوارع المدينة جريا مجنونا ما يقرب من ساعة ، وظنناه كان قد سرق العربة واتضح فيما بعد ان العربة كانت له .. واستمر يجري حتى وصل الى المستشفى .. نفس الجدران التي اقبع فيها الان ... وسأل الدكتور في اعياء عن حل .. فهز رأسه ومط شفتيه .. لقد كان امام انسان ميت بالفعل .. فسقط الرجل ميتا على الفور .. ولو قيل له بطريقة او بأخرى سيكون هناك حل ما .. لاستمر في الحياة اطول من ذلك .. كان يلزمه فقط شيء يفعله حتى يستمر في مقاومة ذلك الجفاف .. ولعل ذلك يفسر لك الامر . »

ولعل ذلك يفسر لاخي وحيد الامر ايضا .. واعتقد ان في تجارب اصدقائنا من الاطباء ما يؤكد بان شعور المريض باليأس من الشفاء مهما كان المرض بسيطا يعجل بنهاية المريض والعكس صحيح ايضا .. اما بالنسبة الي فانا اميل الى الاعتقاد بهذه الفكرة على الاقل حتى يتسنى لي الدفاع عن قصتي الان .

الامر الثالث الذي اود الرد عليه هو قول وحيد بان مثل هذه الفتاة التي تذهب الى صديقها في بيته ليست موجودة في مجتمعنا ثم تدارك وقال انه من المحتمل الا يصور الفن الواقع ولكن ذلك لا ينفي ان يتطلع الفنان الى الواقع من حوله . والذي فهمته من كلام وحيد .. سأحاول ان اوضحه هنا الان :

ان الفن لا يكتفي بتصوير الواقع ونقله وانما يضيف اليه مع استمرار ارتباطه به وبمعنى اخر ، او بالاصح نتيجة له : الفن يبحث عن الدوافع وراء الاشياء الظاهرة ويكشف عن حركة هذا الواقع التي نراها باظهار دوافعه الداخلية ومتناقضاته امام وعي الانسان . ارجو الا اكون متعسفا في تفهمي وافتراضي هذا المعنى من وراء كلام وحيد .

وعلى هذا الاساس يصبح الامر منتهيا .. اذ اؤكد بشدة لاخي وحيد ان هذه الفتاة التي تذهب الى بيت صديقها الذي تحبه موجودة

داخل كل فتاة تحب حبا صادقا. فالفتاة التي شعرت مرة بدفء الحب الحقيقي نحو انسان ما .. لا بد ان تكون قد تمنت بل وسعت مائة مرة لان تلتقي به في بيته وليس في اي مكان اخر في العالم .. في بيته بالذات وبالاخص اذا كانت تشق بصدق عواطفه نحوها . واعتقد ان اخي وحيد نفسه قد جرب ذلك مرة وعرف جيدا ان هذه الفتاة موجودة . وموجودة بكثرة في الواقع وفي داخل نفس كل فتاة لا تجد الجرأة على ممارسة هذه الرغبة في الواقع .. ضف على ذلك ان الفتاة التي اردت ان اتحدث عنها في قصتي .. فتاة مخلصة لانوثتها ولحقها ككائن حي له رغباته ويملك من الشجاعة ما يمكنه من تحقيق هذه الرغبات .. هي هذه الفتاة بالذات وليست اي فتاة اخرى .

ارجو الا اكون قد اخطأت في شيء .

فيما عدا ذلك فانا اتفق مع وحيد في اعتراضاته على التكرار الرديء لبعض الالفاظ واعترف ايضا بانني قد اخطأت في تحديد المعنى عن طريق تركيب بعض جملي ... ولا اخفي عليه .. ان الكلمات بالنسبة الي مازال لبعضها بريق يجذبني .. وان كان قد انطفأ معظمه .. ارجو ان ينطفيء باقي هذا البريق قريبا .. اتفق معه.. وحيي جهده في تناول قصتي .. واحيي الاداب ..

القاهرة عطاء النقاش

حول قصة « الشمس الرابعة »

بقلم : جان الكسان

يقول الاخ الاستاذ وحيد النقاش في معرض تعليقه على قصتي « الشمس الرابعة » المنشورة في عدد تشرين الاول من « الاداب » مافهمت منه انه لم يستطع ان يفهم معنى الرمز الذي اقصد من هذه القصة .. وانه ليس المفروض في الفنان ان يتنقل مع اثره بين القراء ليشرح لهم مايقصد بـه .

هكذا يطلق حكمه جازما ، فلا بد اذن من ايضاح اضعه هنا دفاعا عن القصة بصورة خاصة ، وعن معنى الرمز في الاثر الفني بصورة عامة .

انه يتساءل مثلا : اين هي سفينة نوح هذه التي ورد ذكرها في القصة ، ولماذا هي واقفة لاتسير ؟

ولا ادري ماذا يهم القارىء ، او ماذا يغير في موضوع القصة ـ ان قلت له انها تتنقل مثلا بين الاسكندرية والقاهرة ، وانها قبل ان تشرق الشمس الثالثة ، كادت ان تضل السبيل فتدخل مياه اسرائيل الاقليمية وتتعرض لخطر المطاردة او الهجوم .. وقس على هذا الملاحظات الجانبية الاخرى حول (غراب) و (بشيرة) و (زوجة نوح) .

انبيكاسو مثلا لايتنقل مع لوحاته ليشرح معانيها للناس ، والناس كلهم لايفهمون لوحات بيكاسو على مستوى واحد وبتذوق واحد ، كما ان (غريب) كامو يمكن ان نأخذ معنى الغربة في حياته من عدة زوايا متباينة ، فلماذا الاجحاف بحق الرمز في قصتي اذا كان الاخ الناقد لم يفهم الرمز ..

ان كثيرين ممن حولي هنا في دمشق ، فهموا ما اقصد بالرمز .. فهموا انني اقصد بجماعة السفينة فئة تعيش في مجتمعنا مقوقعة على نفسها ، لاتحاول ان تحمل شيئا من هم انساننا العربي الكادح ، المناضل الضائع ، لاتريد ان تعيش تمزقه والامه وكفاحه وهو يسعى في سبيل تحقيق مايرجو من اهداف ، انها تكتفي بالانزواء والتفرج حتى تتم تسوية الامور فتاتي لتاخذ نصيبها من البيدر ، على طريقة امريكا في الحرب العالمية .

وقد اعطيت بحديث غراب في رحلاته الثلاث واقع المجتمع السوري بأداء فني ـ اعترف الناقد انه ناجح ـ فسلطت الاضواء على ثلاثة قطاعات هامة من هذا المجتمع : الريف والمدارس والصحافة ، لا لحشر ثلاث قصص في قصة واحدة كما قال ، بل لاعطي مثل هذه القصة ماتتطلب من تكامل موضوعي .

وبعد .. فاني اشكر للاخ الناقد رأيه في قصتي واهتمامه بها ،راجيا من الاخوان الذين يكلفون بكتابة ركن « قرأت العدد الماضي من الاداب » ان يقدروا ان هذا الركن ماوجد ليضخم انانية « الاستذة » في نفوس البعض ، فليس كل من يقع اثره الادبي بين ايديهم بحاجة الى هذا النوع من التوجيه « وانبني عمك فيهم رماح » .

جـان الكسان

تحيـة .. لا دفـاع

بقلم : عبد العزيز هلال

يقول الاستاذ وحيد النقاش : « سأحتمي بسماحة اصدقائي الكتاب الثلاثة ، متمنيا ان تكون الكلمة التي سأقولها الان مثمرة ، ان فاتها التوفيق فانني أؤكد ان الاخلاص لا يعوزها » .

الامنية تحققت ، بلا ريب ، لان الاخلاص لم يعوز كلمته فعلا .

ولكن ما دام الناقد قد طرح بعض الاسئلة حول قصتي « جدران من الطين » ، فانني ارى من واجبي ان اجيب .

اول ما ذكر الناقد من عيوب القصة انها « انتهت نهاية خطابية مفتعلة جدا » وذلك في ان البطل راح « يلقي على مسامع زوجته بحثا فلسفيا كئيبا معقدا عناحساس الانسانبالموت ، لا يتفق اولا مع الحالة التي كان فيها بعد ان ودع اباه للابد وترك خلفه المكان الذي قضى فيه احلى لحظات عمره كما يقول ، ولا يمكن فوق ذلك ان يقوله زوج لزوجته بهذه الخطابية » .

اولا لم استطع ان اتصور كيف يمكن ان نوفق بين « الكلام الخطابي » و « البحث الفلسفي » لا سيما اذا كان معقدا وكئيبا ، وعن احساس الانسان بالموت على الاخص .

فالخطابية قد تتضمن « عظة » ما على منبر مسجد او كنيسة او مدرسة ، او في الشارع ، وقد تتضمن « فكرة سياسية » او « مديحا » او « ذما » .. على غرار اغلب شعرنا قبل الحربالاخيرة وحتى في هذه الايام . بينما على النقيض جدا من ذلك البحث « الفلسفي » .. فانه يتطلب كلاما عميقا هادئا مهما تكن بواعثه واهدافه ... فكيف اذا كان منبعثا من الاحساس بالموت ، ويهدف الى تخطيط جديد للسلوك الاجتماعي ؟ وهل يمكن للتعقيد ان يكون صفة خطابية مهما يكن موضوع الخطبة ؟

اذا راجعنا نهاية القصة وحدها دون الكل وجدنا المبرر .. فحينما انطلقت السيارة من المدينة المشحونة بالكآبة والغم ، تحملالزوجين ، كان لا بد للبطل في هذه اللحظة المشرقة من الصباح ان يحسبالتحرر، وبهذا التحرر من عيش التجربة المرهقة ـ لاحظ توتره وتأزمه في فاتحة القصة ـ تفجرت مشاعره الواعية عن ادراك عميق لهذه التجربة : اصبح خارجها ، فأصبح قادرا على الاستنتاج ، بنظرة الناقد ، والحكم من ثم حكما نظريا على الاقل .. ولكن ايجابيته لم تقتنع بان يصدر الحكم كحيادي لانه ادرك انه يستطيع ان يكون عمليا فلا « يهرب » بعد اليوم كما فعل صغيرا ، لا .. واجبه كمواطن بل كانسان بالدرجة الاولى ان يعمل ويثبت .. وان القارىء ليلاحظ ان الحوار لم يفتعل .. كان طبيعيا ان يلتفت الى زوجته بجانبه ، ويبهره منظرها الجديد ـ في ثوب الحداد ـ فيتغزل بها .. ولكن قلب المرأة الحساس ظل تحت وطأة الحزن ، فذكرته بالموت ، وبذلك فتحتالمجال لنقاش أعترف بأنه فلسفي ، واعترف ايضا بانه ثقيل الوطأة ، مما يعيب القصة القصيرة .. وعلى هذا اتفق مع اخي الاستاذ وحيد النقاش.

فمنذ البداية عرفنا ان بطلنا من المثقفين جدا ، وبعد ذلك عرفنا انه « ثوري » ولكن من الثوريين الهادئين اذا اجيز التعبير .

اما حديثه مع الفلاح العجوز فلا يستغربن في ريف سوريا ... في اقصى شمال شرقي سوريا منطقة بدوية ، عهد القرى فيها جد قريب ، ومع هذا فانك اذا ما حططت الرحال بينهم ، فان اول ما تلاحظه هذا المستوى العالي في فهم قضايا الانسان العميقة ، وقضايا السياسة .. سيحدثونك عن وعي في شؤون محلية وعالمية ، وينتقدون ويحكمون احكاما لا تنقصها سوى الثقافة الواسعة لكي تجعلها ادق وأصح من احكام كثير من صحفيينا . وهذا شيء غريب حقا على ابناء الريف ـ فضلا عن البدو ـ في جميع بقاع العالم ... لا ، لن يضحك اي ريفي ـ ولو عجوز ـ من ريفنا لحديث مثقف .. كنت معلما في تلك المنطقة ، وكنتموظفا يعمل في مكافحة الامراض السارية.. وبقيت بحكم العمل الاخير عاما ونيفا في بلدة البوكمال ، فاذا بهؤلاء الذين استصغر شأنهم الاخ الناقد من الناحية الفكرية يهتمون بنشرات الاخبار والتعليق عليها اكثر من اهتمامهم بالحضيري ابي عزيز ـ اشهر مطرب عراقي ريفي ـ ويتناقشون فيما يسمعون كما يفعل الناس في مقاهي وندوات اي مدينة كبيرة في الوطن . يكفي ان اذكر لك انهم في اخر انتخابات نيابية ـ قبل الوحدة ـ قاطعوا انتخاب اغلب الاقطاعيين والبورجوازيين فسقط بالانتخابات من كان نجاحه حتميا، آليا ، لا يحتمل اي جدال ... فعلوا ذلك بدون ادنى ضغط كما يمكن ان يتبادر الى الذهن ... لقد جاهدوا ضد الفرنسيين كيد واحدة ضد العبودية والفقر ، وانتصارا للكرامة ... فلما ذهب الفرنسيون ولم يتبدل حالهم عرفوا ان الفرنسيين تركوا ذيولا خلفهم .. بورجوازية صغيرة .. فجاهدوا ضدها ايضا . ان المقطع الذي اوردته من حديث البطل مع الفلاح عادي جدا ، لان الفلاح قال : « القضية قضيتكم ، انتم السادة » وهو يستنكر علاقته بها ... فهذه العبارة تستتلي حديث البطل دون ان نرى فيه افتعالا .

ثالث عيوب القصة ـ كما يذكر الاستاذ النقاش ـ عدم توضيحي دور الفرنسيين في رمي العداء بين الاسرتين ... فلو عمدت الى ذلك لكان عيبا حقا : لان القضية ليست سردا تاريخيا .. كل الناس يعرفون اساليب الاستعمار في المستعمرات بالاضافة الى ذلك . ولقد كانت فرس عطوان السعد هي عود الكبريت الذي القاه الفرنسيون ـ مشتعلا بالطبع ـ في هشيم تنافس الاسرتين العادي والذي لم يكن يتعدى العادة المتوارثة في تحديد الاسرة او العشيرة . وانت لو تأملت في الحوار بين الحاج صالح السعفان والبطل لادركت ان السياسة ليست موضوع القصة الرئيسي لاتناولها بالايضاح الذي فتشت عنه ـ بلا عناء ...

على كل ، اعتقد ان اخي النقاش قد الزم نفسه من البداية بأن ينظر الي ك « ملتزم سياسي قومي » فحاسبني على هذا الاساس... اقول ـ ولست اذم اي قاص من هذا النوع ـ معتذرا من ناقدي اذ اخطئه : انني اكتب حين اكتب معبرا عن شعوري وافكاري كانسان، واذا كنت ملتزما فكانسان لا كمواطن ... والطين في قصة «الجدران» لا يعني الفرنسيين والعثمانيين بقدر ما يعني عقلية المجتمع الذي نعيش فيه ، نحن ابناءه ، ونريد باخلاص أن تتطور كما تطورت آلاته ومبانيه .

واخيرا فانا اشكر الناقد من كل قلبي .. واحييه .. فلقد احببت فيه هذا الاخلاص حقا .. الاخلاص للفن والتجرد في الحكم .

دمشق **عبد العزيز هلال**

ملاحظتان ...

بقلم محمد دلبرين

اما الاولى فهي عن هذه المناقشات التي تنشر في باب هام من ابواب « الاداب » « مسمى » باسمها ولا ينكر قاريء ما بان هذه المناقشات اذا اريد بها وجه الحق فهي من انفع الاشياء تثبيتا للصواب وتزييفا للباطل ، ولكن فريقا من الادباء انحرفوا بهذا المفهوم او القصد الذي وضع الباب اصلا من اجله فأخذوا ينتصرون لانفسهم ولو كانوا على خطأ او ضلال ، بل لا يتورع كثير منهم عن الغمز والطعن بل والسباب الصريح احيانا اذا لم يستطع ان يعثر على الحجة او البرهان واثباتا لهذا الكلام نحيل القارىء الى قراءة هذا الباب في الاعداد الماضية واما نحن فسنأخذ دليلنا من العدد الاخير لنبين للقاريء نوعا من النقد (يرقى) الى (مستوى) الشتم والسباب المقذع .

والعادة التي درج عليها بعض الكتاب المنقودين انهم لا يتركون النقد يمر بسلام حتى ينالوا منه ومن صاحبه كأن بينهم وبين الناقد عداوة شخصية يريد كل منهم تحطيم الاخر . وتراهم يبدأون نقدهم بانهم ما كتبوه الا على هدى « الموضوعية » ، والموضوعية في عرف هذا النفر من الادباء موضوعية الاهواء الشخصية والتعالي والتعاظم كأن احدهم يرى صغارا في نفسه اذا لم يرد على ناقدية . ونخشى ان نقول انها السمة المميزة لمعظم هؤلاء الادباء وخاصة الناشئين منهم . ولا نكون كشفنا شيئا عظيما اذا كررنا البديهية المعروفة في كل الاعصار والامصار بان كل امرىء مهما سما وعظم خطاء ، او المخطيء الذي يخطيء عن حسن نية وبعد تحري الصواب يكون خطأه مبررا بحسن قصده ونيته واجتهاده . وهذا ما ينطبق على كاتب رواية ـ جيل القدر ـ الاستاذ مطاع صفدي فالاستاذ مطاع صفدي معجب بروايته اعجابا يملك عليه لبه ، ونحن في هذا لا نعتب عليه ، لانه ليس من كاتب ـ ولو كان تافها ـ لا يحب بنات قلمه وافكاره ، واما ان يريد الاستاذ ان يجعل من روايته الرواية التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها فذلك ما لا نرضاه ولا يرضاه هو ايضا ، ولكنه سرعان ما يتناسى هذا ليهاجم كاتبا ارتأى رأيا خاصا في رواية « جيل القدر » وهو يبني نقده على شيئين واهيين اولا : اما ان يكون الناقد « عدوا » شخصيا للاستاذ مطاع فهو يصدر هذه الاحكام « الموتورة » بقصد الثأر والانتقام او الحط من شأن كاتبنا الكبير ونحن وان كنا لا نعرف مدى المعرفة المباشرة بينهما الا اننا نرجح عدم الاتصال بينهما لان الناقد من الاقليم الجنوبي ، بينما الكاتب من الاقليم الشمالي وليس بينهما معرفة شخصية حتى يمكن افتراض مثل هذا الادعاء ، ونضيف ايضا بان الاستاذ بدر لن يلجأ الى مثل هذه الطريقة اذا اراد ان يقيم لنفسه شهرة على انقاض تحطيم مكانة وشهرة الاستاذ مطاع لان الاخير

صدر حديثا :

لهاث الحياة

مجموعة شعرية وجدانية

للدكتور يوسف عز الدين

دار العلم للملايين

لم يحتل بعد مكانه المرموق الذي يحسد عليه ، نقول هذا بكل صراحة وصدق وبساطة مع الاعتراف باننا لا نعرف احد الكاتبين معرفة قريبة او بعيدة . وانما نعرفهما من اثار اقلامهما . واما الاساس الثاني الذي يقوم عليه حجاج الاستاذ مطاع فهو كون الناقد مثقفا مثقفا فحسب مثقفا يقرأ كتب النقد المدرسية قراءة سطحية ثم يحاول ان يطبقها تطبيقا اعمى على ما يقرأ وهو لم يرتق بعد الى مستوى « الادباء » الذين لا يرون في رواية الاستاذ مطاع ما رآه ذلك « المثقف » الذي يتمسك بحرفية الاحكام النقدية التي فات اوانها ، وكم كنا نحب لو ان الاستاذ مطاع قد تكرم فوضع للناس قائمة – في نهاية مقاله – تحتوي على الشروط التي يجب ان تتوفر فيمن يريد نقدروايته الخالدة لكيلا يتورط متورط مسكين فيصب على جلده زيت حار يكويه فيجرد من حسن النية ، ومن الفهم ، ومن صحة العقل . واذا لم يتقبل كاتب الرواية نقد الاستاذ بدر على انه نقد صادر من اديب او حتى من مثقف فليتقيد على اساس انه رأي من قاريء عادي اعرب عن انطباعاته وفهمه لهذه الرواية ، واظن ان رأي القراء محترم وابداءه مشروع ونحن ايضا قرأنا هذه الرواية فهالنا كل هذا « التفلسف » المكشوف الواضح فيها ، واذا اردنا الصراحة فاننا نقول : ان الاستاذ مطاع قد حشر اعظم « كمية » ممكنة من الاراء الفلسفية التي تلقاها دراسة او بحثا فجعل بذلك من الرواية معرض اراء فلسفية ، كل ذلك بغية العمق والاغراب ، واما اشخاص الرواية الذين وصفهم الاستاذ مطاع بالثورية فاننا ناسف اذا قلنا : لقد رأينا أمثالهم كثيرا وهم لم يروا وجه الشعب الا من خلال زجاج « مقهى معروف بدمشق » حيث تتعالى طقطقات النرد ، وتتلاحق سحب الدخان وتتعاقد . واذا حلف لنا بالله جهد ايمانه بان من اولئك الفتية من قرر اغتيال الديكتاتور الشيشكلي فاننا سنشير بتواضع الى الفتية الذين اعجب بهم الاستاذ مطاع من « عادلي كامو » فشاء ألا يحرم الشباب العربي مثل تلك « الثورية » ، وعلى كل حال شكرا للاستاذ مطاع من « الشبابالثائر » او من « جيل القدر » كما يحلو له ان يسميه . ولا شك بان قارئين اخرين قد قرأوا هذه الرواية قد تكون نالت اعجابهم او سخطهم ولكنها على كل وضع قد اعجبت – بدون شك – بعضهم وقد ساءت اخرين ، ونحن نرجو من الاستاذ مطاع الا ينتظر اكثر من ذلك من القراء ، اما ان يريدها انجعلها انجيلا لنا فذلك ضرب من السلوك يستطيع الاستاذ نفسه ان يضع له اسما يناسبه ويليق به . ولا نريد ايراد عبارات الاستاذ مطاع في الرد على ناقده وخصوصا ما كان منها ما يخرج عن لياقة المناقشة والمجادلة وانما نشير اشارة خاطفة لهذا النوع من الردود وهو رد الاستاذ فاضل السباعي ، فالاستاذ فاضل يرى ان « الاستاذ عبد اللطيف شرارة من خلال ما كتب من مقالات وابحاث في مختلف المجلات كاتب واسع الثقافة قويم النظر » لكن الاستاذ شرارة لم يفقد في نظر فاضلنا كل هذه المقومات والصفات الا عندما تناول بالنقد مقاله « مأساة الاديب العربي » فحق عليه القول وخرج من زمرة العباد الصالحين ووقع في « السطحية والتعالي » و « التأستذ » الى اخر ما في قائمة « النقد الموضوعي » من « كلمات .. »

وان دل هذا على شيء فهو يدل على ضيق صدر بعض الكتاب ، والشعور بالاضطهاد الذي كثيرا ما يصرح هؤلاء بانه نوع من « الارهاب الفكري » ولا ادري كيف تسربت الى اقلامهم هذه الكلمة البشعة التي حنت كل ما في العالم من وساخة .

فاذا كان النقد « ارهابا فكريا » او « لفت النظر » الى الاخطاء حقدا وعداوة ، او الاشارة الى الطريق الاصلح في نظر الناقد تأستذا وتعاليا » فكيف يريد حضرات الكتاب من الناقدين ان يبلغوا آراءهم للناس ؟؟!

واما الثانية فهي عن قصة الاستاذ زكريا تامر « رحيل الى البحر » واحب قبل أن ابين رأيي في هذه الاقصوصة ان استعين على توضيح هذا الرأي بان اورد موجزا لاقصوصة كنت قرأتها منذ سنوات لموباسان وقد فاتني على الضبط اسم بطلها ومفاد قصة « موباسان » ان رساما فاشلا كان يصور رسوما غريبة فيصدف عنها الناس فبلغ به الضر ان سأل صديقا له عن طريق يتبعه للخلاص من سوء حاله فاشار عليه الصديق – وكأنما كان عالما بنقاط الضعف في نفوس الناس – بأن يقيم معرضا لرسومه ، على ان يستعد قبل ذلك بان يتخذ سمت « الفنانين الشاذين » من لحية مدببة في اسفل الذقن الى « غليون » يعلو دخانه في وجه مخاطبه، وان يجيب اذا سئل عن سر لوحة من لوحاته جوابا واحدا لا يتكرر بتكرر الاشخاص والاوقات : « أرأيت النهر ؟ أتأملت يوما بعمق تياراته ؟ » وبالفعل نجح ذلكالرسام المغمور نجاحا باهرا اذ هو اخذ يكرر هذه الكلمات فيحمر وجه مخاطبة خجلا فينصرف الى اللوحة ثانية يتأملها بعمق ودقة فيكتشف من جمالها وروعتها اشياء واشياء . واخذ النقاد بدورهم يشيدون بعبقرية صاحبنا ورسومه حتى بلغ ما كان يصبو اليه من شهرة وثراء . واما الشيء الطريف في القصة فهو ان الصديق سأل الرسام يوما وكان قد فرغ من رسم لوحة « لا طعم لها » عن مغزاها فلم يكن من صاحبنا الا ان نهض واقفا وحدق في وجهه كما كان يفعل في مقابلة عشاق رسومه ، وبعد ان نفخ نفخة هائلة من دخان غليونه في وجه صديقه قال له ببرودة : « أرأيت النهر ؟ أتأملت بعمق يوما ما تياراته ؟ » .

والاستاذ زكريا تامر قصاص موهوب ، هكذا تقول الصحف الاسبوعية بدمشق ، ومن بين المشتغلين بها عدد لا بأس به يعرف الاستاذ زكريا معرفة شخصية ، بالاضافة الى « شلة المقهى » ولا يستهين احد « بشلة المقهى » فان لرضائها وسخطها شانا كبيرا في رفع من تشاء وخفض من تريد من الناشئين ، وعندما يجد القاريء هذه « الثناءات » المكالة جزافا لبعض الكتاب لا يلبث الا ان يتأثر بها فكما ان « تايد » هو احسن مسحوق منظف للغسيل وكما ان ساعات « داماس » هي احسن الساعات الموجودة فكذلك يقال ، ان فلان هو خير من كتب القصة القصيرة ، وذاك هو الروائي الفيلسوف ، والثالث هو من يجب ان يكلل بتاج امارة الشعر . وهذا هو شأن القاريء عندما يأخذ قصة رحيل الى البحر لزكريا تامر ، وهو موحى له او مستهوى سابقا بان الذي يقرأ له من المجيدين في هذا الميدان فلا يلبث الا ان يقع في احدى حالتين : اما ان يهلل ويصفق لهذهالعبقرية في اخفاء الرموز فيها الى حد الاعجاز ويكتشف فيها اشياء واشياء من الروائع ما كانت لتخطر على بال السيد تامر نفسه او ان يتهم نفسه بقصور الفهم لانه يستحيل ان يكون عاقلا ولا يفهم من القصة ما يفهم منها سائر الناس وعلى راسهم نقاد مشهورون بالحذق وحسن الذوق. واما انا فانني لم استسغ قراءة القصة – رغم انني قرأتها مرات ، ولم يفتح الله علي بشيء من مغاليق رموزها ، وهي في رأييهدر لوقت الكاتب والناس على حد سواء ، فيها اختصارات مائة قصة او اكثر في رأس الكاتب كان يود ان يكتبها فجمعها موجزة في هذه القصة ، ولم استطع ان افهم بالضبط الى ما يشير اليه الكاتب من كلمة « البحر » وهي تحتمل من المعاني بعدد قراء القصة ، اقول ذلك دون ان تحمر اذناي خجلا لانني لم اتأمل بعمق في كل حياتي تيارات النهر وهي تتصارع وتتدافع ، ولكنني اشفق اذ اتصور احد اصدقاء زكريا تامر عندما يسأله بتواضع عن مغزى كل هذا الحشد من الكلام فلا يلبث زكريا الا ان يغمز وجه هذا الصديق المسكين بدخان ما ، قائلا له : أحقا يا هذا انك لم تفهم بعد رموز « الرحيل الى البحر ؟؟! » .

دمشق **محمد دلبرين**

طبعت على مطابع :

دار الغد للطباعة والنشر

تلفون : ٢٢٩٢١